٧

لا أعبد ما تعبدون

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾

[سورة التكاثر]

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾

[سورة الكوثر]

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

[سورة الكافرون]

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

[سورة الزمر]

«مكـــة.. التوتر وتربص وصـــد وإعنات قريش على أشـــده بعد أن أعلن محمـــد صلى الله عليه وســـلم دعوته بين عشـــيرته الأقربين، ثم لباقى قريـــش - محمد فى خلوته يتعبـــد ويتحنث... يتأمل فى حال الإنســـان، وكفـــره بربه، وحبه للمال وشحه به.. وصده عن سبيل الحق.. هؤلاء الكفـــار لا يقيمون للبعث اعتبارًا، ولا يحســـبون ليـــوم القيامـــة حسابًـــا.. أفلا يذكرون فى طغيانهم وضلالهـــم وعيد ربهم، وأن مرجع الخلائق كلها إليـــه.. العليـــم الخبيـــر بمـــا تبطن النفوس، وما تظهـــر، وبخبايا ما فى الصـــدور؟!!!!.. إذ هو عليه الصلاة والســـلام فى تأملاته وإخباته يتنزل عليه الروح الأمين...».

جبريل : (يتلو علـــى محمد) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾[سورة العاديات: الآيات: ١ - ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«شبه الجزيرة العربية، وقد جمحت القبليات بالأُسَر حتى صاروا يتباهون ويتفاخرون بالأحياء

وبالأمـوات مـن كل قبيلـة.. تستشـرى بينهم المفاخـرات حتـى لا يكفيهم التفاخـر بالأحياء منهـم.. وإنما يسـتحضرون أمجـاد الراحلين.. يكادون ينادون أجداثهم من القبور..

حى من أحياء مكة.. جَمْعٌ من بنى عبد مناف وآخر من بنى سـهم... يتلاحـون ويتفاخرون.. يزهو كل منهما على الآخر بأنه الأكثر عزة ومالا وكثرة!!»

بنو عبد مناف : لا أحـد فى قريش، ولا فـى العرب كلها، إلا ويعرف أننا نحن أكثر سيدًا وأعز عزيزًا، وأعظم نفرًا وأكثرهم عائذا!!!

بنو سهم : نحن الأكثر عددًا، والأعظم نفرًا ، والأكثر سـادةً وأشرافًا، والأعز عزيزًا...

«يتلاحـى الفريقـان حتى يوشـك الجميع أن يقتتلوا..».

سهمى : ما بالنا نتقاتل، وكل منا أعرف بنفره وسـادته وأشرافه... فهلموا نحصى عدد كل منا.. من زَادَ الآخر رجح.

«بنو عبد مناف يرحبون باقتراح السـهمى.. يأخذ كل فريق فى إحصاء سادته وأشرافه وعدده، فما ينتهى الفريقان من هذا الإحصاء حتى يتضح أن الكثرة فى بنى عبد مناف.. تبدو خيبة الأمل على بنى سهم، ولكن قائلهم يقول...».

سهمى : (مستدركًا) إن الوغى أفنانا فيما مضى؟!!!

منافى : فمـا تريدون؟!! قـد أحصينا وأحصيتـم، فكثرناكم عددًا وعزًا.. فما شأننا وما أفناكم؟!!

بنو سهم : أليس من ماتـوا مـن بنى سهم منـا، ومن ماتوا من بنى عبد مناف منكم؟!

بنو عبد مناف : أجل، فما تريدون بذلك!!

بنو سهم : عارونا بالأحياء وبالأموات..

منافى : فما تقصدون بذلك ؟!

سهمى : تعدون موتاكم ونعد موتانا.. نضيفهم إلى الأحياء، لنرى من منا فى النهاية – بأحيائه وأمواته، أكثر سـادةً وأشـرافًا، وأعز عزيزًا، وأعظم نفرًا، وأكثـر عائذًا!!

«يتصايح الفريقان موافقـين.. ينطلق الجميع مسـارعين إلى القبور بظاهر مكـة.. ما إن يصلوا حتـى يأخـذوا فى إحصـاء أجسـاد الموتى فى القبور، بعد أن أحصوا الأحياء.. فكثرت بنو سهم بنـى عبد مناف.. يسـخر بنو عبـد مناف من عد الأموات، ويتمسك بنو سهم بأن الأموات كالأحياء فـى كثرة وعـزة بطن.. يتلاحـى الفريقان طويلاً، يتباهى كل منهما بعزه وسـؤدده، وماله وجاهه.. وكثرتـه.. فلا يتوقف التلاحى، والتقاتل، إلاّ بعد لأيٍ شـديد.. ينصرف كل فريق إلى حيه، وألسنة كل منهم تلهج بما تفاخروا وتباهوا به من كثرة المال والجاه، والعز، والسؤدد، والنفر والأشراف!!!

«تشـيع المفاخرات فى مكـة وما حولها حتى تكاد القبائل تنصرف إليها انصرافًا!!»

* * *

«محمد عليه السـلام.. فـى خلوته.. يتعبد فى سـكون وإخبات، لا يعنيه مـن أمر الدنيا جاه ولا تكاثـر.. وإذ هو يتهجد خاشـعًا لله، يأتيه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾[سورة التكاثر: الآيات: ١ـ ٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش فـى مجلسـها بظاهـر الكعبة.. يأتيهم أبوجهل بادى الفرح والسرور.. فيسألونه..».

قرشى : ماوراءك يا أبا الحكم؟!!

أبوجهل : بُتِرَ محمد.. مات له القاسـم، وها قد مات عبد الله.. وما أرى إلا أنه أبتر..

عقبة بن أبى معيط : (مستهزئًا) أترون، إنه أبتر.. لا يبقى له ولد..

«يتضاحك القرشيون ساخرين»

«رؤوس قريش بالكعبة.. يدخل عليهم كعب بن

الأشـــرف قادمًا من يثرب.. يســـتقبلونه مرحبين..
فما يكاد يجلس، حتى يبتدروه..».

قرشي : أمـــا ترى يا كعب هذا الصابئ محمدًا الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء..

كعب : (باقتضاب) بلغنى نبؤه!!!

قرشي : إنك ســـيد أهل يثرب، ونحن فيما ترى أصحاب الســـقاية والســـدانـــة والحجابـــة واللـــواء.. ألا تـــرى هـذا المنصبر (يقصدون النخلـة المنفـردة، والسعفة تنبت فى جذع النخلة لا فـــى الأرض)، الأبـــتر. المنبتر من قومـــه، يزعم أنه خير منا.. أفنحن خير، أم هذا الصنيبر الأبتر ؟!!

كعب : (مندفعًا) بل أنتم خير منه!

«يدخل عليهم العاص بن وائل.. فيســـمع طرفًا
من حديثهم وصخبهم حول محمد ، فيبتدرهم..».

العاص بن وائل : دعكم منه!!

أحدهم : خبرنا أولا.. من كنت تحدث الآن بظاهر الكعبة؟!

العاص : هو ذاك الأبتر؟!!

بعضهم : (ضاحكين ساخرين) لعلك صادقته؟!!

العاص : ما أعلـم أحدًا منكم يبغضه كما أبغضه، ولا مثلى شنآن له.. أنا شانئ محمد!!

قرشي : (مداعبًا) ألهذا قلت.. دعوكم منه؟!!

العاص : (جـــادًا) أجل، دعوكم منه، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك، انقطع ذكره، واسترحتم منه!!!

* * *

«محمد عليه الصلاة والسلام فى بعض أصحابه..
بـدا كمن يغفو إغفاءة يسـيرة.. يتنـزل عليه فيها
الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو على محمد) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[سورة الكوثر: الآيات: ١ ـ ٣].

«يرتفـع الوحـى.. بينمـا يرفع محمد رأسـه مبتسمًا».

الصحابة : (مشغوفين) ما أضحكك يا رسول الله؟!!

محمد : (يتلو عليهم ما نزل عليه من سورة الكوثر)(مستأنفًا) أتدرون ما الكوثر؟!

الصحابة : الله ورسوله أعلم!

محمد : فإنـه نهر وعدنيه ربى عز وجل، فيه خير كثير هو حوض تـرد عليه أمتى يوم القيامة، آنيتـه عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقـول: إنه من أمتى.. فيقال إنك لا تدرى ما أحدث بعدك...

(مسـتأنفًا) إنه نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الـدر والياقوت، تربته أطيب من المسـك، وماؤه أحلى من العسـل، وأبيض من الثلج.. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا...

* * *

«مكة.. لا يزال طواغيت قريش على تجبرهم
وغلظة قلوبهم.. العاص بن وائل غارق فى تكذيبه

بالدين، وشحه بماله إلاّ فى التفاخر وإتيانه كل قبيح .. يتكاتف هو والوليد بن المغيرة، وأبو سفيان وأبوجهل فى كل منكر!!».

«دار أبى سفيان بمكة.. يقف أبوسفيان على رأس عبيده فى صحن الدار وهم يذبحون جزورين كما اعتاد كل أسبوع.. يقبل عليه صبى يتيم فقير، فيتقدم إلى أبى سفيان مستعطفًا..».

الصبى اليتيم : (لأبى سفيان) هلا أعطيتنى قطعة من اللحم أمسك بها رمقى؟!

أبوسفيان : (غاضبًا فى غلظة) أغرب عن وجهى قبحك الله..

«يعدو أبوسفيان وراء اليتيم ، يقرعه بعصاه ، فيفر الصبى من أمامه مذعورًا مهانًا مسكينًا!!!»

* * *

«دار أبى جهل بمكة وبمجلسه بعض أكابر قريش.. يدخل عليهم صبى يتيم رث الثياب، لا تكاد ثيابه الرثة تستره.. اليتيم فى كفالة أبى جهل ، يتقدم إليه على استحياء يطلب قليلاً من ماله الذى لديه، يكسو نفسه ويتبلع به.. ولكن أبا جهل ينهره نهرًا عنيفًا، ويصرفه صرفًا غليظًا.. يشرع الصبى فى الانصراف يائسًا حسيرًا.. فيلاحقه كبراء قريش بسخريتهم..».

بعض زعماء قريش : (للصبى اليتيم) لماذا لا تذهب إلى محمد ، قل لمحمد يشفع لك ؟!!

«يضحكون ساخرين، وينصرف الصبى يحسب فى انكساره أنهم يصدقونه النصح!!»

* * *

«دار محمد عليه السلام فى مكة.. يدخل عليه الصبى اليتيم، يلتمس شفاعته إلى أبى جهل ليعطيه بعضًا من ماله لديه ليكسو نفسه، ويتعيش به.. ما يكاد محمد يسمع شكايته، حتى ينهض معه لفوره، فينطلق به إلى دار أبى جهل.. يمران فى طريقهما بمجلس قريش بظاهر الكعبة.. يلمحهما نفرٌ من قريش!! فيتضاحكون، مستهزئين!!!».

قرشى : (للآخرين – ساخرًا) أرأيتم.. إن محمدًا هو الذى سيقتضى لليتيم حقه من أبى الحكم ؟!!

«يتضاحك القرشيون.. على البعد يبدو محمد عليه السلام يقرع باب أبى جهل، ما يكاد يفتح ويرى محمدًا ومعه الصبى، حتى يستقبلهما ببشاشة مرحبًا.. يطلب إليه محمد أن يؤدى لليتيم بعضًا من ماله، فيسرع أبو جهل إلى داخل الدار، يخرج بعد برهة ومعه بعض المال، يعطيه للصبى، بينما ينصرف محمد عليه السلام ومعه اليتيم.. القرشيون يرقبون ما يجرى على مرمى

البصـر فى تعجب.. يقبـل عليهم أبو جهل فى أعقاب محمد وصاحبـه.. فما يكاد محمد يبتعد حتـى يتضاحـك القرشـيون سـاخرين من أبى جهل!!!».

القرشيون : (لأبى جهل مداعبين) أتراك صبوت يا أبا الحكم؟!!!

«يتضاحكون»

أبوجهل : لا، واللات والعزى ما صبوت؟!!!

قرشى : فما أجبرك إذن على ما صنعت.. (مستدركًا) وقد كنت رددت الصبى ردًا غليظًا عنيفًا؟!!!

أبوجهل : ويحكـم، واللات والعزى مـا عدلت ولا صبوت، ولكنى رأيت عـن يمين محمد ويسـاره حربة خفت إن لم أجبه أن يطعننى بها...

قرشى : (مداعبًا) أرأيتم يا سـادة قريش؟!.. لقد شـبه على أبى الحكم من الروع!!!

«يتضاحـك القرشـيون هـازئـين مداعبين، بينما يبدو أبوجهل مهمومًا ، وكأن على رأسـه الطير!!!».

* * *

«محمد فـى خلوته يتعبـد ويتحنث، يتنزل عليه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾[سورة الماعون: الآيات: ١ ـ ٣]

(يرتفع الوحى)

«مكـة.. بظاهر الكعبة.. محمـد عليه الصلاة والسـلام خارج من الكعبة فى طريقه للانصراف، فيعترضـه من عتـاة قريش: الوليد بـن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن عبد العزى، وأمية بن خلف.. فيستوقفونه متوددين»..

أحدهم : يـا محمـد، ألم نعرض عليك أن نعطيك مـالاً حتى تكون أغنى رجل بمكة؟!

ثان : (مستكملاً) وعرضنا عليك أن نزوجك من شئت من النساء، وأن نطأ عقبك.. ألا نمشى إلاّ خلفك..

ثالثهم : كل هذا لك يا محمد ، وتكف عن شـتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء!! «محمد صامت هادئ.. لا يرد»

رابعهم : (مستدركًا) فإن لم تفعـل، فإنا نعرض عليك خصلةً واحدة لك ولنا فيها صلاح.

محمد : (باقتضاب) ما هى؟!

الأربعة : هلم يا محمد، تعبد آلهتنا، ونعبد إلهك.. ثم تعبد آلهتنا، ونعبد إلهك.. تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة..

محمد : معاذ الله أن أشرك بالله غيره..

«يشرع محمد فى الانصراف».

الأربعة : (محاولين استبقاءه) فإن كان الذى جئت به خيرًا مما بأيدينا، وكنا شاركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه.. وإن كان الذى بأيدينا خيرًا مما فى يدك كنت قد شـاركتنا فى أمرنا، وأخذت منه بحظك!!

محمد : (وهو ينصرف ماضيًا فى سبيله) معاذ الله أن أشرك بالله غيره..

* * *

«بعـد فترة وجيـزة.. ما يكاد محمـد يفارق هذا الجمع، حتى يتنـزل عليه جبريل بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون: الآيات: ١ ـ ٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمـد عليه السـلام يبـادر إلى الكعبة.. ما يكاد يدخل حتـى يصادفه رهط من قريش فيهم الرباعى: الوليـد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسـود بن عبد المطلب بـن عبد العزى، وأمية ابن خلف.. فيقف عليه السـلام على رؤوسهم.. يتلو عليهم مانزل من آيات ربه..».

محمد : (يقرأ) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سـورة الكافرون: الآيات: ١ ـ ٦].

«ينظر طواغيت قريش بعضهم إلى بعض، وقـد ملأهم اليأس.. لايحيرون جوابًا، ولا ينطقون».

* * *

«بعد زمن – فى مكـة يلتقى طواغيت قريش بمحمـد.. فيذكرون مـا قاله ويقولـه لهـم فـى آلهتهـم وما يعبدون وما عبده آباؤهم وأجدادهـم.. فيعاتبونه...».

القرشيون : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟!!!

قرشى : أتصف آباءك وأجدادك بالكفر؟!

«محمـد عليـه السـلام يمضى فى سـبيله.. لايلتفت إلى عتابهم.. ولايرد على حديثهم..».

«محمد ﷺ فـى خلوته فى تعبـده وتهجده وتحنثه.. يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمـد): ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الزمر: الآيات: ٦٢ – ٦٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمـد عليه السـلام فـى خلوتـه يتعبد.. تمـر بخاطره أطيـاف من سـفاهات ولجاجات المشـركين، وإنكارهم وصدهـم.. وأباطيلهم.. لا يفهمـون ولا يعقلون ولا يتأملون آيات الله الدالة

عليــه فى خلقــه.. يتعجب من العمــى الضرير الــذى خيم على قلوبهم وأفئدتهم وأبصارهم.. ما بالهم لا يفقهون حديثًا، ويردون البرهان الساطع باللجاجة والنكير.. ترى بماذا يخاطبهم، وكيف يهدى عقولهم الشــاردة وقلوبهم الضالة.. وإذ هو فيما يلم يخاطره من أطياف وتســاؤلات.. يتنزل عليه الروح الأمين لافتًا إلى ما فعله سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل.. داعيًــا إياه أن يخاطب هؤلاء المعاندين ببرهان ربه الذى سبق ووقع على ذات أرضهم حماية للبيت العتيق الذى كان أول بيت وضــع للناس ببكة مباركًا.. وبارك ســبحانه من حوله..

جبريل : (يوحــى إلى محمد ويتلو عليــه).. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[سورة الفيل: الآيات: ١ ـ ٥].

(يرتفع الوحى)

* * *